قطف الثمـــار

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأديب عبد الخالق العطار

كانت حياتي أيام الصبا كزهرة ... تفقد واحدة أو اثنتين من وريقاتها الكثيرة ... ثم ينسيها الربيع ما فقدت ... إذا ما وقف ببابها يطلب إحساناً

وودعت الشباب ... فصارت حياتي كثمرة ... ليس لها ما تستطيع فقده ... ولكنها تنتظر من تهب له نفسها كاملة بكل ما تحمل من حلاوة

* * *

هل للأوراق الصفراء والزهور الذابلة أن تشارك الورود الناضرة في بهجتها بعيد الصيف ؟ وهل لا يرسل غناء البحر أنغامه للأمواج الهابطة ... كما يشجي بها الأمواج العالية ؟

ها هي ذي اللآلىء والدرر ... قد انتظمت في بساط يقف عليه إلهي ... ولكن هناك كثيرون ... ينتظرون صابرين ... يرجون لمسة من قدمه ...

ما أقل العقلاء ..!.. وما أعظم من يجلسون إلى جوار سيدهم!

ولكنه هو .. لقد احتوى الساذجين بين ذراعيه .. وجعلني خادمه إلى الأبد ...

* * *

وجدت خطابه مع الصباح ... عند ما استيقظت ...

ولم أعلم ماذا يقول فيه ... فاني لا أعرف القراءة ...

مالي وذاك الرجل العاقل ... الذي يجلس وحيداً بين كتبه ؟

لن أضنيه ... وهو الذي يستطيع أن يقرأ لي خطابي ...

دعني ... دعني أضع الخطاب على جبيني ... وأضمه إلى صدري

وعند ما ينمو سكون الليل ... وتتناثر النجوم في ظلمته واحدة إثر واحدة ... سأبسط الخطاب في يدي ... وأظل صامتاً !

سيقرؤه لي حفيف الأوراق بصوت عال !

ستغنيه لي المياه وهي تندفع في مجراها !

سترتله لي سبعة نجوم هادئة ... وسأسمع ترتيلها من السماء !

لقد ضل سبيلي ... وأنا أبحث عما أريد !

لقد استغلق عليّ فهم مالا بد من معرفته !

ولكن هذا الخطاب الذي لم يقرأ ... قد خفف عني العبء فصارت أفكاري كلها كالأناشيد

لقد ضللت سبيلي حيث تعددت السبل ...

فلا في المياه الواسعة ... ولا في السماء الزرقاء ... أستطيع أن أجد لي طريقاً

لقد اختفى الطريق تحت أجنحة الطير ... ووراء النجوم الملتهبة ... وخلف أزهار الفصول المتعاقبة ...

فتساءلت ... أي قلبي ! ألا تحمل مع ذلك حقيقة الطريق الذي لا أراه ؟

* * *

عند ما كنت أختال ببطء بين كنوزي الثقيلة الموروثة ... كنت أشعر كأني الدودة التي تعيش في الظلام ... تتغذى على الثمرة التي ولدت عليها ...

إني أترك هذا السجن ... سجن الفساد

إني لا أعبأ إذ أحطم تمثال السكون ... لأني ذاهب في طريق باحثاً عن الشباب الدائم ...

سأتخلى عن كل ما لم يتحد مع حياتي ...

سأتخلى عن كل شيء ... إلا ما كان خفيفاً كضحكي

وسأجري خلال الزمان ...

و ... آه يا قلبي ... في عربتك الصغيرة يرقص الشاعر ويغني بينما خياله يسبح

* * *

لقد أخذتني من يدي ... وأدنيتني إلى جانبك ... وأجلستني أمام الناس جميعاً ... وفي مقام عال ... حتى صرت ضعيفاً لا أقوى على النظر ولا السير في طريق ... يملؤني الشك ... ويحيطني الوجل ... خشية أن أعثر فيصيبني احتقار الناس ...

ولكني تحررت أخيراً ...

فقد دوت الصرخة ... وقرعت الطبول إنذاراً ... وهبط مقعدي في التراب ...

وتفتحت السبل أمامي !

إن أجنحتي لتطير بها الرغبة إلى السماء ...

إني أذهب لأحتل مكاني بين النجوم التي تنطلق في منتصف الليل ... لتغرق في الظل اللانهائي ، إني كسحابة الصيف التي تتقاذفها العاصفة ... بعد أن ألقت عنها تاجها الذهبي الذي ألبسته إياها الشمس قبل أن تغيب ... فتعانقت كسيف مسلول على سلسلة من الضوء ... وإذا الرعد يدوي كلما اهتز السيف

وفي فرح اليائس أجري في الطريق الذي غطاه التراب ... طريق المنبوذين . وأجيء إلى جانبك لأحييك التحية الأخيرة ...

٩٠٥٠

والطفل لا يرى أمه حتى يخرج منها ...

فعندما صرت بعيداً عنك ... وألقيت بمنأى من جوارك... صرت حراً ... صرت حراً ... فاستطعت أن أرى وجهك

* * *

على بعد وفى هذا المنخفض ينساب نهر الجومنا ... هادئاً رائعاً ... والشاطىء بارز فوقه ... والتلال المظلمة والغابات المتناثرة قد تجمعت حوله ...

وجلس چوفندا ... معلم الشيخ الأعظم ... على صخرة يقرأ الأساطير ... عندما جاءه تلميذه راجونات ... فخوراً بثروته فانحنى احتراماً وقال :

« لقد جئتك بهدية صغيرة ... لا تستحق منك القبول »

قالها ووضع أمام أستاذه سوارين من الذهب المرصع بالأحجار الثمينة ...

أمسك السيد أحدها ... وأداره فى أصبعه فبرقت الجواهر وأرسلت من الضوء ... وفجأة ... أفلت من يده ... وتدحرج على الشاطئ ... إلى أن بلغ الماء ... واستقر فى القاع

هتف راجونات ... « يا إلهى » ... ووثب وراء السوار فى الماء ...

أعاد المعلم بصره إلى كتابه ... وأمسكت المياه وأخفت ما سرقته ... وسارت فى طريقها ...

واضمحل ضوء النهار ... عندما عاد راجونات إلى أستاذه متعباً يتصبب عرقاً وقال : « قد أستطيع استرجاعه لو أنك أشرت إلىّ أين سقط »

أمسك المعلم السوار الآخر ... وقال وهو يلقيه فى الماء ... ... « إنه هناك »

* * *

يا إلـه السموات ... إن حديثك سهل بسيط ... ولـكن حديث هؤلاء الذين يتحدثون عنك ليس كذلك ...

فما أقرب صوت نجومك إلى فهمى ... وما أبلغ صمت أشجارك.

إن قلبى قد تفتح كالزهرة التى ملأتها حياتى فى خميلة مختفية ...

وأنا شيدك ... كالطيور الآتية من بلاد الثلج النائية ... وتريد أن تبنى لها عشاً فى قلبى ... بما فيه من حرارة كحرارة اربل ...

ولـكم أنا قانع بانتظارى هذا الفصل البهيج

عبد الحالق العطار

الأديان والمذاهب فى الحبشة

رحل الأستاذ محمد تيسير ظبيان الـكيلانى صاحب جريدة الجزيرة بدمشق إلى بلاد الحبشة فدرس أحوالها دراسة مستفيضة ثم وضع فى ذلك كتاباً يوشك أن يصدر . وقد خص الرسالة بهذا الفصل من فصوله لنشره لحضرته شاكرين

لما لم يكن لبلاد الحبشة حتى هذه الأيام احصاء رسمى صحيح يمكن الاعتماد عليه فى تقدير عدد المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى فأننا نكتفى فيما يلى بنشر زبدة ما حصلنا عليه من المعلومات المختلفة والروايات المتنوعة فى هذا الموضوع

إن الأديان الرئيسية الموجودة فى الحبشة هى :

الوثنية ، واليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ، وقد تضاربت الأقوال فى تقدير عدد مسلمى الحبشة فمن قائل إنهم لا يزيدون عن ثلاثة ملايين ، ومنهم من يقدرهم بخمسة ملايين ، ومنهم من يرفعهم إلى أكثر من ذلك ؛ وكل هذا من قبيل الرجم بالغيب

أما من جهتى فمنذ ألقيت عصا تسيارى فى تلك البلاد أخذت أوجه كل اهتمامى إلى تلك الناحية فرحت أتغلغل فى مختلف الأوساط الحكومية والشعبية حتى وفقت والحمد لله للحصول على النتيجة الآتية وهى لعمرى نتيجة بحث واف وتمحيص دقيق

الاسلام

إن الاسلام هو أكثر الأديان انتشاراً فى بلاد الحبشة ولا سيما بعد أن ضُم إليها مقاطعتا « الصومال الايطالى والأرتيرية . والمسلمون (كما أكد لى موظف مصرى مسؤول) كانوا يؤلفون فى المئة خمسة وخمسين من مجموع السكان ؛ أما الآن بعد أن زالت الأسباب التى كانت تمنعهم من الظهور وبعد أن ضمت منطقة الصومال الايطالى وجميع أهلها مسلمون ، والأرتيرية وكثرة سكانها من المسلمين أيضاً ، فاعتقد أنهم يؤلفون ستين فى المئة (على الأقل) من مجموع السكان . نعم لا أنكر أن بعض المناطق ولا سيما منطقة امهرة أكثر سكانها من المسيحيين ، ولـكن المناطق الأخرى يتفوق فيها العنصر الاسلامى على غيره كما سيأتى

والغريب المدهش أن الديانة الإسلامية تنتشر من تلقاء نفسها بسرعة خارقة فى الأوساط الحبشية (وخصوصاً فى المناطق الوثنية) رغم سياسة القهر والعسف التى كانت متبعة ضد المسلمين